المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:02 (2022)، ص352-361

إسهامات العالمين "محمد الصالح، وابنه أحمد الطيب المشداليين في الحياة الفكرية الإسلامية"

The contributions of the two scholars "Muhammad Al-Saleh and his son Ahmed Al-Tayeb in the Islamic intellectual life"

محند أكلي آيت سوكي
جامعة سطيف 02 (الجزائر)
aitsouki.ma@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/10/31
تاريخ القبول:
2022/12/20

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الزواوة
- ✓ مشدالة
- ✓ الرحموني
- ✓ لقبايل

الملخص:

منذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، وسكان منطقة زواوة يشاركون في كل الأحداث التاريخية الإسلامية، ولم يتخلفوا في خدمة الحضارة الإسلامية. وقد نبغ منهم العديد من العلماء الذين ساهموا في نشر الثقافة العربية بالمنطقة وخارجها، كما أن عددا من أعراش المنطقة، أنجبت رجالا ونساء تركوا بصماتهم في التاريخ الإسلامي مغربا ومشرقا. وكان من بين هؤلاء العلماء من ذاع صيتهم في المغرب والأندلس، وتونس، والمشرق. فكانوا قضاة، ومفتيين، وفقهاء ومدرسين... يشار إليهم بالبنان، ومن بينهم علماء عرش أمشدالة الذين اشتهروا في التاريخ الوسيط بالمغرب والمشرق، ومن علماء العرش في الفترة الحديثة العالمان: محمد الصالح، وابنه: أحمد الطيب الرحموني.

Article info

Received:
31/10/2022
Accepted:
20/12/2022

Key words:
- ✓ Zawawa
- ✓ Mashdalah
- ✓ Rahmouni
- ✓ Kabylie

Abstract:

Since the Islamic Conquest of North Africa, the inhabitants of the Zwawa region have participated in all Islamic historical events, and they have not been left behind in the service of Islamic civilization. Many scholars have excelled among them who have contributed to the spread of Arab culture in the region and outside, and a number of thrones in the region have given birth to men and women who have marked history Islam in the West and the East. Among these scholars were those who became famous in the Maghreb, Andalusia, Tunisia and the Orient. They were judges, Muftis, jurists and teachers... They were called illustrious, and among them were the scholars of the throne of M'Chedallah, who were famous in the medieval history of the Maghreb and the East, and among the scholars of this throne in modern times we quote: Muhammad Al-Saleh and his son Ahmed Al-Tayeb Al-Rahmouni.

مقدمة

تعتبر منطقة زواوة (لقبايل)[1]، من بين المناطق الجزائرية التي ساهمت مساهمة كبيرة في الحفاظ على التراث الفكري العربي الإسلامي، من خلال أبنائها الذين ترعرعوا في أحضان جبالها ووديانها وروابيها، ونالوا قسطا من التعليم في كتاتيب قراها، ومداشرها، وزوايا أعراشها التي كان العلم يشع منها كالأقمار في ليلة البدر. فمن هذه المنطقة تخرج الكثير من العلماء الذين برزوا في عدة مجالات فكرية تجاوزت شهرتهم حدود الجزائر، فانتشر صداهم في بلدان المغرب الإسلامي ومشرقه، وتركوا بصماتهم في مختلف الفنون والمعارف. فنجد في كتب التراجم أسماء لعلماء المنطقة في الأندلس والمغرب الأقصى والحجاز، والحواضر العلمية الإسلامية الأخرى، وقد أسهموا بأفكارهم، وما تركوه من مؤلفات علمية في مختلف العلوم النقلية والعقلية في الحضارة الإسلامية عبر العصور. ولعل، أدل شيء على هذا كثرة الزوايا (ثِيمْعَمْرِينْ)[2] المنتشرة في مختلف القرى والمداشر والأعراش التي تتكون منها المنطقة، إضافة إلى كثرة العلماء والمفكرين والمبدعين الذين أنجبتهم المنطقة عبر تاريخها الطويل.

فمنذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، حمل أبناء المنطقة لواء الدفاع عن الإسلام واللغة العربية، وتفانوا في خدمتهما والعمل على نشرهما بين أبنائهم، وتعليمهما لغيرهم من الشعوب المغاربية، ونبغ من سكان المنطقة العديد من العلماء في مختلف العلوم العقلية والنقلية. والفضل في كل ذلك يعود إلى الدور الذي لعبته مدينة بجاية في العهد الحمادي وبعده–حتى لقبها بعضهم بـ (مكة الصغيرة)[3] –لما قدمته هذه المدينة للإسلام والمسلمين. وقبل دور بجاية. لعبت عاصمة الدولة الحمادية (قلعة آشير) التي أسسها الحماديون في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. فهاتان المدينتان كانتا عاصمتين للدولة واستقطبتا العديد من العلماء المسلمين سواء الذين قدِموا من المغرب والأندلس، أو الذين قدِموا من المشرق الإسلامي واستقروا فيهما، وأخذ عنهم أبناء زواوة واحتكوا بهم. فبرز العديد من العلماء في جرجرة، والبيبان، والبابور، وحوض الصومام، وأعراش أخرى لا يمكن عدها في هذه العجالة، ومن بين هؤلاء العلماء النوابغ، علماء عرش مشدالة.

فما هو هذا العرش وأشهر علمائه؟ ومن هما هذان العالمان؟ وما هي إسهاماتهما في الحياة الفكرية الإسلامية؟ ذلك ما تناولته في هذه الدراسة التي حاولت فيها إبراز دور هذان العالمان اللذان يعدان من أواخر علماء عرش إمشدالن، التابع لولاية البويرة حاليا.

1.علماء عرش مشدالة

لقد حافظت كتب التراجم، وموسوعات الأعلام على أسماء أولئك العلماء الذين تركوا بصماتهم في الفكر الإسلامي، والعربي في المغرب والمشرق الإسلاميين، ومن هؤلاء الذين ذاع صيتهم في العالم الإسلامي وهم من هذا العرش، وينتسبون إليه، نذكر:

- محمد بن محمد بن أبي القاسم أبو الفضل المشدالي، ولد ببجاية سنة 822هـ وتوفي بالشام سنة 865هـ[4]
- منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي (631–731هـ)[5].

- أبو موسى عمران المشدالي
- محمد بن أبي القاسم المشدالي المتوفى سنة 866هـ
- ناصر الدين المشدالي (631-770هـ)
- أبو الفضل محمد المشدالي (820-864هـ)

وكانت نهاية شهرة علماء هذا العرش في الفترة الحديثة بوفاة الشيخين: أبي القاسم محمد الصالح بن سليمان المشدالي، ووفاة ابنه أحمد الطيب.

2.1.التعريف بعرش مشدالة (إمشدالن)

يقع عرش مشدالة أو إمشدالن (IMECHDLENE) في السفوح الجنوبية لسلسة جبال جرجرة. يحده من الشرق عرش بني مليكش، ومن الجنوب عرش بني عباس، ومن الغرب وادي الساحل، ومن الشمال سلسلة جبال جرجرة بأعراشها الكثيرة ومنها عرش قشطولة. وأهم القرى والدواوير التي يتشكل منها العرش، متمثلة في: كنفدرالية أولاد براهم، وآيت يخلف، وجزء من بني منصور، ومايو مركز (أحنيف)، وكذا آيت عيسى، ثيغرمت[6]. إضافة إلى الشرفة التي تضم عددا من العائلات المرابطة التي تعرف بالبهاليل، وكذا تجمع رافور الذي أحدثته السلطات الاستعمارية بعد تهجير سكان المناطق الجبلية المستعصية على النفوذ الفرنسي.

كما أن هذا العرش يحتوي على مجموعة من القرى الموزعة على روابه وسهوله، وسفوح جباله، منها: ثادارث لجذيذ، آث ولبان آث أحمذ واقلقارن، آث يخلف...[7]

أما التسمية، فـ (مشد الله. أمشدال)، وجمعه (إمشدالن)، فالكلمة مأخوذة من أمشدال. وهو نوع من النمل الخشن، كناية عن دأبه وصبره وصموده في بحثه عن طعامه، وفي التضامن فيما بين أقرانه. فيقال: أمشدال بمعنى المقاوم الصامد[8]. وجمعه إمشدالن.

3.1.التعريف بـ: محمد الصالح بن سليمان

هو العلامة الأستاذ: "**أبو عبد الله محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن أبي القاسم الطالب الرحموني**"، نسبة إلى أولاد رحمون[9] بعرش مشدالة، ولذا يلقب بالمشدالي تارة، والزواوي نسبة إلى منطقة زواوة تارة أخرى. وقد وصفه ابن مخلوف بقوله: "**الإمام العلامة الفقيه النحوي الفهامة**"[10].

فهو أديب نحوي[11]، من العلماء الذين درسوا ودرّسوا في: زاوية الشيخ سيدي امحمد بن عبد الرحمن بآيت إسماعيل مدة طويلة من الزمن، وتخرج على يديه العديد من العلماء الذين ساهموا في نشر الفكر والثقافة الإسلامية بالزواوة وخارجها.

وهو من شرفاء قرية العش التابعة لعرش مشدالة[12] التي اشتهر فيها من قبل كثير من العلماء الذين تركوا إسهاماتهم في الحياة الفكرية الإسلامية، أمثال: الفقيه منصور بن عبد الحق المشدالي (ت 731هـ/1330م)، ومحمد بن محمد المتوفى سنة 865هـ/ 1460م. وغيرهم من العلماء الذين اشتهر بهم هذا العرش[13]. وولد على ما يبدو في 1152هـ/1739م بقرية العش.

4.1.دراسته

زاول دراسته في القرية التي ولد فيها، وتفقه في كتاتيبها ومعمراتها التي كانت لها مكانة هامة في وقته، وعلى رأس هذه الزوايا زاوية ثومليلين التي تخرج منها أغلب علماء مشدالة[14]، ومنها انتقل إلى معمرة (زاوية) الشيخ: امحمد بن عبد الرحمن ببونوح، وتتلمذ على شيخها: سيدي امحمد بن عبد الرحمن (مؤسس الطريقة الرحمانية)[15]، ولما أتقن علوم عصره انتقل إلى تونس، ولازم المعهد الزيتوني إلى أن أجيز فيه[16] من قبل علمائها، وقد ذكر هو أنه درس في تونس وأجيز من علمائها، وهو الأمر الذي استدل به الشيخ المهدي البوعبدلي عندما قال: أن الشيخ (محمد الصالح بن سليمان) كتب بخط يده أنه قرأ وأجيز بجامع الزيتونة بتونس[17]، هذا، ويذكر في إحدى مؤلفاته التي أنهى تأليفه لها في تونس قائلا: "**وقع الفراغ من هذا الشرح المبارك على يد كاتبه محمد الصالح نجل سليمان بن محمد الطالب عند الآذان الأول من يوم الجمعة في تونس عام 1180هـ**" [18].

5.1.عودته إلى بلده

بعد تبحره في عدة علوم آخذا على علماء الزيتونة مختلف الفنون. رجع إلى بلاده، وإلى القرية التي تربى فيها، ودرس على علمائها. فوهب نفسه لتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وتفرغ لتدريس الطلبة الفنون التي تعلمها في سفرياته العلمية بجبل بني عيسى التابع لعرش مشدالة، فأنشأ في بلدته كُتّابا ومدرسة يدرس فيها علوم عصره[19]، وبعد أن اشتهر صيته استدعاه الشيخ: امحمد بن عبد الرحمن الأزهري ليتولى التدريس في المعمرة (الزاوية) التي أسسها في جرجرة[20]، فبقي مدرسا ناشرا أنواع العلوم والإرشاد في المنطقة، فأخذ عليه الكثير من الطلبة، ومن بينهم ابنه أحمد الطيب، الذي أجازه والده إجازة عامة مطلقة[21]. وكذلك أخذ عنه العالم الصوفي المجاهد الشيخ (المهدي السكلاوي)[22].

6.1.وفاته

توفي الشيخ: محمد الصالح بن سليمان العيسوي المشدالي سنة 1242هـ/ 1826عن عمر ناهز التسعين[23] سنة قضاها بين التعلم والتعليم، فتخرج على يديه العديد من علماء المنطقة. ودفن داخل الروضة الأزهرية الرحمانية إلى جانب الشيخ سيدي امحمد بن عبد الرحمن[24]، وبذلك يكون عالمنا من مواليد سنة 1152هـ تقريبا الموافق لـ 1765، 1766.

2. دوره التعليمي، وإسهاماته الفكرية

إن الإسهامات التي يساهم بها العلماء متنوعة وفي ميادين متعددة، ولكن أهم الإسهامات التي يمكن أن تظهر في الأعمال الجليلة التي قدمها عالمنا وابنه يمكن حصرها في التعليم والتأليف:

1.2.دوره في التعليم

من بين الأعمال الجليلة التي أداها العلماء عبر العصور (التعليم)، وذلك امتثالا لقوله ﷺ: **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)**.

فالتعليم عادة، وظيفة يقوم بها العلماء والمتعلمون، ومن أجل هذا، نجد بأن الشيخ: محمد الصالح، من العلماء الذين ساهموا مساهمة كبيرة في نشر التعليم بمنطقة زواوة. فبمجرد عودته من تونس، تفرغ لتعليم الناس في القرية التي ولد ونشأ فيها، وبعد ذلك انتقل إلى احدى الزوايا التعليمية المشهورة في المنطقة خلال تلك الفترة، وهي زاوية الشيخ سيدي امحمد بن عبد الرحمن بعدما استدعاه للتعليم فيها، خاصة وأنها الزاوية التي كان يقصدها طلاب العلم من جهات عدة لما لها من تميز في التعليم والتربية السلوكية، وهي زاوية (معمرة) الشيخ: امحمد بن عبد الرحمن الأزهري الذي أسسها في عرش بني اسماعيل (آث إسماعيل)، وفي قرية بونوح بجبال جرجرة. وهذه الزاوية (المعمرة) ليست بعيدة عن القرية التي نشأ فيها الشيخ الرحموني، بل كان من طلابها ومن المتخرجين منها. وتعتبر هذه الزاوية في نظر الباحثين بأنها الزاوية الأم للطريقة الرحمانية في الجزائر[25]، وفيها تتلمذ جل شيوخ وعلماء المنطقة الذين أخذوا عن الشيخ ابن عبد الرحمن، ومن بينهم الشيخ: محمد الصالح الرحموني قبل ذهابه إلى تونس[26]. فبقي فيها إلا أن انتقل إلى رحمة الله تعالى عن عمر ناهز التسعين سنة.

كان انتقال الشيخ إلى هذا المركز العلمي والصوفي، يعد بمثابة بداية لإسهاماته الحقيقة في المجال التعليمي، خاصة إذا علمنا بأن سكان الزواوة، يرون في التعليم قداسة كبيرة، بل ويقدسون المؤسسات التعليمية والقائمين عليها. وخير دليل على ذلك: القوانين العرفية في زواوة والتي تعاقب كل من يعتدي على هذه الأماكن عقابا شديدا. فقانون عرش مشدالة في مادته 81، ينص على أن: الشخص الذي يسرق متاع المسجد يغرم بغرامة مالية قدرها عشرون ريالا... مع وجوب رد الشيء المسروق إلى أهله[27]. هذا القانون وغيره من القوانين العرفية في المنطقة، تدل على الأهمية التي يوليها السكان للتعليم.

يعود اهتمام السكان في المنطقة بالتعليم –في نظري –إلى الدور الذي لعبه العلماء والمرابطون في نشره بين الناس، وكان من أكبر مظاهر هذا الاهتمام احترام أماكنه خاصة المساجد، التي أصبحت مدارس للتعليم وأماكن للعبادة، خاصة إذا علمنا بأن مراكز التعليم بعد سقوط مدينة بجاية انتقلت إلى النواحي الداخلية الجبلية من منطقة زواوة[28].

إن اهتمام سكان المنطقة بالتعليم وتقديسهم لهذه المهنة، جعلت الشيخ يفضل العودة إلى قريته من أجل نشر العلم بين سكانها، ومنها انتقل إلى المركز الذي ذكرته من قبل، وفيه اختص على ما يبدو في الفقه والعلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة، فأخذ عنه الكثير من طلبة العلم، ومن بينهم الشيخ (محند أمزيان بن الحداد) مقدم الطريقة الرحمانية في زاوية صدوق بعد هجرة الشيخ المهدي السكلاوي إلى الشام سنة 1847[29].

هذا، وأخذ عنه أيضا ولده (أحمد الطيب) الذي خلف مقامه في نشر العلم والمعرفة[30]. وأخذ عنهما الكثير من طلبة العلم ومن مختلف جهات الوطن، فكان له ولولده أحمد الطيب . الفضل الكبير في نشر أنواع العلوم والهداية بتلك النواحي العامرة[31].

3.إسهاماتهما الفكرية

إن كان الشيخ: محمد الصالح قد نبغ في علوم الفقه واللغة، ودليلنا في ذلك الكتب التي ألفها في اللغة وفروعها، وهي مساهمة منه في إثراء المكتبة العربية من هذا العلم . حتى وإن كان جلها مجهولا ومفقودا لحد الآن لكونها من المخطوطات المفقودة. غير أن ولده (أحمد الطيب)، كانت له شهرة في علوم أخرى، ولعل من أبرزها علم التوحيد، وما يمكن أن يؤكد لنا هذا، الكتب التي ألفها في هذا العلم، والتي مازالت تحتفظ بها المصادر التاريخية، وإن ضاع الكثير منها.

من أهم مؤلفاته (الشيخ محمد الصالح) التي تمكنت من جمعها وحصرها في هذه الدراسة، فهي:

1.3.مؤلفات الشيخ: محمد الصالح

ترك العديد من المؤلفات العلمية، والذخائر النفيسة وفي ميادين علمية مختلفة، خاصة منها في اللغة العربية وقواعدها من نحو صرف وعروض...وكلها مؤلفاته، تدل على مدى نبوغه وإتقانه للعلوم اللغوية، فكانت له مساهمة كبيرة في خدمة اللغة العربية والفكر الإسلامي عامة، والتراث المحلي خاصة. ومن هذه المؤلفات ما يلي:

- **ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب.**
- **الدليل على الأجرومية:** وهذان المؤلفان في قواعد اللغة العربية، ويعود إليهما طلاب المنطقة في الدراسات اللغوية.
- **شرح على الأزهرية.**
- **حاشية على الصغرى في المنطق** للأخضري، سماها المحتاج في شرح معاني السراج.
- **رياض السعود فيما لله من العجائب والحدود.**
- **شرح على البردة للبوصيري.** توجد نسخة مخطوطة عن هذا المؤلف في مكتبة زاوية الهامل القاسمية، تحت رقم 365.
- **بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم البنين**[32].
- **شرح على السلم،** في المنطق للأخضري[33].

2.3.وفاته

توفي الشيخ محمد الصالح سنة 1242هـ/1826م عن عمر ناهز التسعين سنة. وهذا يجعلنا نستنتج بأن تاريخ ميلاده في حدود سنة 1202هـ/1796م تقريبا. وخلف ولدا عالما ظل في مكان والده وهو: **أحمد الطيب.**

دفن بداخل الروضة الأزهرية الرحمانية إزاء شيخه (محمد بن عبد الرحمن الأزهري)[34].

4.إسهامات أحمد الطيب بن محمد الصالح الزواوي (ت 1251هـ/ 1835م)

كان من جملة فقهاء قطره علما وفصاحة وفضلا، تلقى العلم عن أبيه، وليس هناك ما يدل على أنه خرج من منطقته لتلقي العلوم خارج الجزائر بل خارج منطقة زواوة، وإنما درس على علماء عصره في المنطقة التي

نشأ فيها، فجل العلماء الذين أخذ عنهم من المنطقة. وهذا يدل على أن مستوى التعليم الذي كان سائدا في الجزائر عامة، ومنطقة زواوة بوجه خاص، والذي كان مستوه عال بخلاف ما يدعيه البعض من الذين يقولون: أن التعليم في الجزائر كان مستواه منحطا، وقد نبغ عالمنا هذا في العديد من العلوم خاصة منها[35] العلوم الشرعية. فيعتبر من الفقهاء المتمكنين الذين لهم باع كبير في علوم شتى، وفنون مختلفة، وخاصة علم التوحيد. فقد وصفه الزركلي بـ: "**الفقيه من أهل المغرب**"[36]، ويبدو بأنه من النظّامين، لأن له منظومات أخرى في مختلف العلوم، كما أنه عاص بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر[37]. وقد أجازه والده في العلوم التي أخذها عنه[38].

وما يثبت هذا، تلك المؤلفات التي تركها في علوم مختلفة، والتي من أهمها:

- **تكملة الفوائد في تحرير العقائد**، وهو شرح على منظومة "**أم البراهين**" في علم التوحيد. وهذا الكتاب يعتبر تفسيرا وتعليقا لعقيدة السنوسي التي كانت متداولة بين طلبة العلم في عصره[39] في المنطق وعلم الكلام.
- **الدرة المكنونة منظومة في علم التوحيد**
- **مفتاح الأحكام**: وهو عبارة عن نظم على الأحكام المتعلقة بالفتوى، تجاوزت أبياته ألفي بيت (2000) في أحكام الفتوى.
- **نصرة الإخوان في احتجاج الفقهاء بالبرهان**[40]: وهذا المؤلف، على ما يبدو. عبارة عن رد على المخالفين من الفقهاء للتصوف والطرائق الصوفية.
- **تذكرة الحكام**: لشرح مفتاح الأحكام، وهو عبارة عن شرح لأبيات منظومة مفتاح الأحكام التي وضعها لإظهار أهمية التشريع الإسلامي، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وهو عبارة عن رد على السياسة الاستعمارية الرامية إلى محاربة القضاء الإسلامي في منطقة زواوة بعد الاحتلال.
- **منهاج الوصول إلى ما في الإرث من الوصول**، وهو عبارة عن أرجوزة في علم الفرائض.
- **مفيد الطلبة**، وهو شرح على متن الأجرومية في النحو. ويقول عنه (سعد الله): والمؤلَف من أسرة تمارس التعليم في زاوية الشيخ الأزهري، ولذلك لا نستغرب أن يكون هذا التأليف داخلا في المجال وصفناه وهو التأليف المدرسي[41].
- **القرة العصرية في أحكام الفتوى**[42]
- **إضافة على رجز في الفقه المالكي**: وقد قيل بأن هذا الرجز كان مستعملا بين قضاة جرجرة فترة من الزمن.[43]

من خلال مؤلفاته، يمكن أن نستنتج العلوم التي نبغ فيها واهتم بها. وقد وصفه أحد الباحثين بكونه: أديبا، ونحويا، له اهتمام بعلم الكلام، وعلوم اللغة[44]، وما يمكن تسجيله على علماء زواوة في هذه الفترة التي عرفت شحا في العلم والمعلمين. أن علماء المنطقة اتصفوا بخلق القناعة والورع والتقشف[45]، وهي الصفات التي جعلتهم يستقرون في هذه المنطقة الفقيرة من أجل تعليم أبناء المنطقة التي طغى عليها الجهل خاصة بعد الاحتلال الفرنسي لها، وبداية توسيع سياسته الرامية إلى فسخ ومسخ وسلخ المجتمع الجزائري عامة، وسكان منطقة الزواوة خاصة.

خاتمة

لقد ساهم علماء منطقة زواوة في الحضارة الإسلامية كغيرهم من علماء العالم الإسلامي، واشتهروا بوسطيتهم وثقافتهم الدينية الواسعة، وقد نالوا شهرة كبيرة بين أقرانهم في المغرب أو المشرق، ونالوا مراتب سامية في التدريس، ومنهم الكثير الذين فضلوا البقاء في البلدان التي حلوا بها، سواء تعلق الأمر ببلاد الحجاز، أو مصر، أو بلاد الشام...، ومنهم من فضل العودة إلى بلاده للمساهمة في نشر العلم بين أبناء جلدته، وساهموا بدورهم في التعليم والتأليف، وإثراء الحضارة العربية الإسلامية بفكرهم وتراثهم، ومن بين هؤلاء العلماء الذين فضلوا العودة، العالم محمد الصالح الرحموني. فساهم بعمله وعلمه رفقة ولده في التأليف والتعليم.

إن المتتبع لمؤلفات العالمين "**محمد الصالح**"، وولده "**أحمد الطيب**"، وكذلك الدور الذي قاما به في التعليم. يستنتج مدى تضلعهما في مختلف فنون المعرفة، وعدم اقتصارهما على فن واحد من الفنون. فهما لا يقلان شأنا عن العلماء المشداليين الذين عاشوا قبلهم وكان لهم نبوغ في المغرب الإسلامي، أو في مشرقه، وكانت لهم مكانة كبيرة بين علماء العالم الإسلامي عبر التاريخ والعصور، وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على مدى مساهمة علماء مشدالة وأبنائها عبر العصور في الحضارة العربية الإسلامية خاصة، وفي الفكر الإنساني عامة، مما يجعلنا اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، نسعى إلى التعريف بهؤلاء العلماء الذين أفنوا حياتهم في خدمة الوطن، والدين الإسلامي، واللغة العربية، وأثبتوا انتماءهم إلى الشرق لعل أبناء الزواوة يستذكرون أمجاد أجدادهم، ويبقون مرتبطين بأصالتهم المشرقية وحضارتهم الإسلامية.

الهوامش:

1 – **منطقة الزواوة:** هي المنطقة الواقعة إلى الشرق من مدينة الجزائر العاصمة، وتمتد من وادي يسر غربا، إلى وادي أقريون شرقا. ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الهضاب العليا جنوبا. وتسميتها مستمدة من قبيلة كبيرة استوطنت أعالي جبال جرجرة، وتعرف بقبيلة (إغاواون)، ومفرده أغاوة، وانتشر استعمال هذه التسمية على كل المنطقة الناطقة باللغة المحلية (القبايلية) سواء في الجهة الغربية أو الشرقية، وبعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة. أطلق عليها الفرنسيون تسمية لقبايل تمييزا لها عن المناطق الأخرى متبعين في ذلك سياسة (فرق تسد) والتي ظلت مستعملة إلى يومنا، وطغت على التسمية التاريخية (منطقة زواوة).

2– **الزاوية:** تعرف في المنطقة باسم ثِمْعَمَّرْثْ، وجمعها ثيمعمرين، وهي عبارة عن مؤسسة تحوي كل ما يحتاج إليه طالب العلم من مأكل ومشرب ومبيت. مخصصة أصلا لتحفيظ كتاب الله تعالى، وتعليم العلوم الدينية واللغة العربية، وبداية ظهورها في المنطقة غير محدد، ولكن بعض المراجع تذكر بأن أول زاوية في المنطقة هي: زاوية سيدي علي نتغلاط بالقرب من قرية إفرحون. أنظر: أحمد ساحي: **علماء من زواوة. إيقواون** 1، مطبعة الثورة الإفريقية (د. ت).

كما أن **زاوية سيدي:** عبد القادر الجيلاني بقرية ثفرغ القريبة من عرش جعافرة التابع لولاية برج بوعريريج حاليا، والتي تأسست في القرن السابع الهجري/14م من الزوايا القديمة في منطقة لقبايل. هذا، وقد أسس الشيخ: سيدي أحمد بن إدريس البجائي زاويته في أعالي جبال جرجرة، وكذلك الشيخ سيدي يحيى العدلي الذي أسس زاويته بقرية ثمقرة خلال القرن التاسع الهجري/15م. وغيرهما من الشيوخ والعلماء البجائيين الذين عملوا على تأسيس الزوايا في القرى الداخلية والتي تعتبر بمثابة بداية لانتشار الزوايا في المنطقة بعد تراجع الدور العلمي لحضيرة بجاية بعد سقوطها بيد الاسبان سنة 1510م.

3 -(CH) FERAU : **histoire de Bougie**, édition Bouchanes, Alger, 2001.

4- أنظر عنه: - أبو الفضل السخاوي: **الضوء اللامع في بيان علماء القرن التاسع**.

5- أنظر عنه: أحمد بابا التمبكتي: **الديباج المذهب وذيوله، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 446.

6-Louis RINN: **LE ROYAUME D'ALGER SOUS LE DERNIER DEY**, presentation de Abderrahmane Rabahi, grand Alger Livres Editions, Alger; 2005, p 266.

7- صالح بلعيد: **الأمازيغية في خطر!؟**، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011، ص 71.

8- تعليق الوزير المرحوم: عبد الرحمن شيبان على محاضر الأستاذ: **محمد أرزقي فراد**، "**الصلح في المجتمع الجزائري منطقة القبائل نموذجا**"، في: من وقائع حوار الأفكار، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أكتوبر 2005، ص30.

9- أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، بحث تقديم: محمد الرؤوف القاسمي الحسني، 2ج، موفم للنشر، الجزائر 1991، ج2، ص388.

10- محمد بن محمد بن مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، رقم 1528، ص382.

11- محمد بسكر: **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة**، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013، ج1، ص 304.

12- يحيى بوعزيز: **الثورة في الولاية الثالثة التاريخية**، شركة دار الأمة، ط 2، الجزائر 2010، ص 385.

13- أنظر حولهم كتب التراجم، التنبكتي، الحفناوي، الغبريني ...

14-صالح بلعيد: المرجع السابق، ص 72.

15- للتوسع في الطريقة الرحمانية، يمكن العودة إلى:

Mohammed Brahim SALHI: **LA Tariqa Rahmaniya De l'avènement àl´ insurrection de 1871, Haut Commissariat à l´Amazighité**, Alger, 2008. Et: - Louis RINN:

16- أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766. 1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 71.

17- المهدي البوعبدلي: "**تراجم بعض مشاهير علماء زواوة القبائل الصغرى والكبرى**"، مجلة الأصالة، العدد 14 و15، الجزائر 1973، ص272.

18- المهدي البوعبدلي: **الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، ثورة الشريف بوبغلة بطل ثورة بلاد القبائل**، جمع وإعداد: عبد الرحمن ذويب، عالم المعرفة، الجزائر،2013، ص32.

19- المرجع نفسه، ص 166.

20- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، 10ج، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ج7، ص 149.

21- الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص 388.

22- محمد الصغير بن لعلام: **علماء من زواوة**، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2013، ص 166

23- المهدي البوعبدلي: "**تراجم بعض علماء زواوة**"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، العدد، 14، ص 272.

24- الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص 388.

25- OCTAVE DEPONT et XAVIER COPPOLANI : **LES COFRERIES RELIGIEUSES MUSULMANES**, publie sous le patronage JULES CAMBON, MAISONNEUVE P.GEUTHNER S.A. ADOLPHE JOURDAN, Alger, 1897, p383.

26- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 149.

27 - HANOTEAU et LETOURNEUX : **La Kabylie et Les coutumes Kabyle**, présentation de Alan Mahé, et HANNEMANN, 3T, Edition Bouchene, T3, p 303.

28- المهدي البوعبدلي: "**الثقافة والتوجيه في الجزائر**"، محاضرة ألقاها في مؤتمر الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر، في 1970.

29- بلقاسم عيسات: **لمحة عن تاريخ قلعة العباس جبل الزواوة وأعلام الطريقة الرحمانية**، (د م، د ت)، لجزائر، ص ص 138، 140.

30- البوعبدلي: تراجم بعض مشاهير، المرجع السابق، ص 272.

31- المدني: المرجع السابق، ص 72.

32- بشير ضيف بن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري: **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، مراجعة وتقديم: عثمان بدري،3ج، منشورات ثالة، الجزائر، 2002، ج3، ص58.

33- يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 386.

34- الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص 388. وكذلك: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 149.

35- المدني: المرجع السابق، ص 72.

36- **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج1، ص141.

37- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص150.

38- المرجع نفسه، ص 150

39- المرجع نفسه، ص 149.

40- المرجع نفسه، ص 93.

41- المرجع نفسه، ج8، ص 46.

42- عبد الوهاب بن منصور: **أعلام المغرب العربي**، المطبعة الملكية، لرباط، 1406هـ / 1986م، ج7، ص ص 228، 229.

43 -Dulfan, R.A. N 1874, p 420.

44- بسكر: المرجع السابق، ص 186.

45- أحمد ساحي: **الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512-1767**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر،2015، ص 299.